العدد ٢٠٠٣/١

الأحد ٥ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار الشهيدين ثاويمبتس وثاوناس

والبارة سنكليتيكي

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(تيطس٢:١١–١٤؛ ٤–٧)

يا ولدي تيطسُ لقد ظهرت نعمةُ اللهِ المخلِّصةُ لجميعِ الناس* وهي تُؤدِّبنا لننكرَ النفاقَ والشهواتِ العالميَّة فنحيا في الدهرِ الحاضرِ على مقتَضى التعقُّلِ والعدلِ والتقوى* مُنتظرينَ الرجاءَ السعيدَ وظهورَ مجدِ إلهنا العظيمِ ومخلِّصنا يسوعَ المسيح* الذي بذلَ نفسهُ لأجلنا ليفتَدينا من كلِّ إثمٍ ويُطهِّرَ لنفسهِ شعبًا خاصًّا غيورًا على الأعمالِ الصالحة* فلمَّا ظهَرَ لُطفُ اللهِ مخلِّصِنا ومحبَّتُهُ للناس* خلَّصَنا هو لا لأعمالٍ في البرِّ عملناها نحنُ بل على مقتَضى رحمتِهِ بغَسلِ الميلادِ الثاني وتجديدِ الروحِ القدُسُ* الذي أفاضَهُ علينا بسخاءٍ بيسوعَ المسيحِ مخلِّصنا* حتَّى إذا تبرَّرنا بنعمَتِهِ نَصيرُ ورَثةً على حَسَبِ رجاءِ الحياةِ الأبديَّة.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيحِ ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياء: هاءنذا مُرسِلٌ ملاكي أمامَ وجهِكَ يُهيِّءُ

قداس الميلاد

صباح الأربعاء ٢٥ كانون الأول ترأس سيادة راعي الأبرشية خدمة قداس الميلاد في كنيسة القديس نيقولاوس، وبعد قراءة النص الإنجيلي ألقى سيادته العظة التالية:

«المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.

نعيّد اليوم أيها الأحبة للتواضع السحيق الذي منه نكتسب التواضع والتآلف والاتحاد مع إخوتنا جميعًا. اليوم غزت السمواتُ الأرضَ واحتلتها لا بالسلاح ولا بالقتل والعنف بل بالمحبة والرحمة والحنان. أتت السموات إلينا لتظهر لنا مجالاً في نفوسنا لا نعرفه. الله يصوَّر لنا في معظم الأحيان قويًا كالبشر، ظالمًا كالبشر، منتقمًا قاطعًا الرقاب والألسنة كالبشر. اليوم، في ذكرى ميلاده، يحوّل اللهُ هذه الصورة علنًا نراها بوضوح. الله هو مصدر كل شعور نبيل، كل شعور إنساني عميق. هو نبع لكل ما أشتهي أنا وتشتهي أنت من محبة ولطف ووداعة يلفك بها الآخرون.

لقد أصبح الله إنسانًا وانحدر إلى أعمق أعماق الفقر حتى إنه رُفض. رُفضت أمه ولم تجد لها مكانًا في أي منزل، وكانت حبلى تتألم وقد دنت ساعة ولادتها. لم يستقبلها إنسان في بيته فلجأت إلى مغارة كان فيها مذود. ظن الناس، عن حق، أن حيوانات كانت في تلك المغارة، وكأن الإنسان اكتشف أن الحيوان قد يكون أرحم بالإنسان من الإنسان.

ماذا علّمنا هذا الإله الذي نعبده؟ علّمنا التواضع والانسحاق، وكأني بيسوع يقول لنا أنا ولدتُ في مغارة، بين الحيوانات، كي لا أتكبّر كما يتكبّر الناس ويتعالون. لذا بإمكان كل فقير ووضيع أن يتعزى ويفرح لأن الله شاء أن يتحد بالفقير والضعيف لا بالغني المتعالي أو الظالم وارتضى أن يحوّل معنى الغنى بكل أبعاده. أفرغ ذاته من الألوهة – لأنه بقي إلهًا وهو إله في كل حين – وظهر بشكل إنسان فقير منسحق ليعلّم الإنسان أنه لا يستطيع الرجوع إلى صورته القديمة، إلى مجده القديم والألوهة التي كانت فيه، إن لم يفرغ ذاته لله.

الله يريدك أيها الإنسان في بهاء مجده، في حضرته، لكنك لا تستطيع أن تكون هناك إن لم تفرغ مكانًا للرب في قلبك. يجب ألا تشابه أولئك الذين لم يستقبلوا العذراء فيما كانت تعاني آلام الولادة.

في ذكرى ولادته يقول لنا يسوع أفرغ ذاتك من أنانيتك، أفرغ ذاتك من كبريائك وترفعك يسكن الله فيك ويستقر. يقول لنا جئت إليكم لأصالحكم مع الله. جئتكم متوسطًا. أصبحت مثلكم إنسانًا كاملاً أتعب مثلكم وأسأل السامرية ماءً لأرتوي، أبكي على لعازر كما تبكون على أحبائكم، أتألم كما تتألمون، أموت لكي أدخل موتكم وأحوّله إلى قيامة. جئت لأصالحكم مع الله. كيف؟ سأمشي أمامكم، إتبعوا خطاي. تمثلوا بي. سأتحرك بينكم، سأتكلم معكم، إسمعوني، إقرأوني، إتبعوني.

قال له بطرس سأتبعك حيثما تذهب، حتى الصليب، حتى الموت. أجاب يسوع: لا تتكبّر يا بطرس لأنك باتباعك إياي، قد تتكبّر وقد يوقعك كبرياؤك ويميتك. سوف تنكرني ثلاث مرات. سوف تعلن: لا أعرفه. كم من الناس يدّعون أنهم للمسيح وينكرونه!

إن إتّباع يسوع يستدعي إنكار النفس. من أراد أن يتبع يسوع إنسان لطيف وديع محب يبكي مع الباكين ويفرح مع الفرحين، يكفر بنفسه ويحمل آلام الآخرين. هو مستعد أن يحمل أثقال إخوته ولو كان في الألم، وأن يُظهر لهم كل جمال لكي تتعزى نفوسهم. لا يمكنكم أن ترتفعوا إلى الله ما لم تتخلوا عن نفوسكم الشريرة الأمّارة بالسوء. على المسيحي أن يتبع المسيح والمسيح يعلّمه كيف يكون مع الله، كيف يعود إلى بيته الأبوي ويصبح في حماه:«الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٧). يسوع هو ذاكرتنا الإلهية التي فقدناها.لذلك تجسد،لكي يذكرنا بما قد نسيناه بابتعادنا عن الله وعن فردوسه. حياتنا به تحوّلنا من كل ما هو أرضي إلى كل ما هو سماوي. ومن يتبع المسيح يرى العالم بعين المسيح، يرى الجمال في كل مكان ويرى كل إنسان جميلاً، يرى كل مخلوق جميلاً، ويرى نفسه جميلة، وديعة، مُحِبّة.

لماذا تجسد المسيح وصار إنسانًا؟

في أول ظهور له كان في المجمع اليهودي. دخله ليصلّي بعد أن اعتمد وجُرِّب. اعتمد من يوحنا بعدما رفض يوحنا تعميده قائلاً له: «أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟»(متى ٣: ١٤) فأجابه يسوع:«هكذا يليق بنا أن نكمّل كلّ برّ» (متى ٣: ١٥). ثمّ أخذ يسوع إلى البريّة حيث جُرّب بتجارب ثلاث تختصر بطلب المجد الباطل، بالحياة بعيدًا عن الله، وبتجربة الله، لكنّ يسوع تغلّب على إبليس وانطلق في رسالته ودخل بدءًا المجمع اليهودي «فدُفع إليه سِفْر إشعياء النبي، ولما فتح السِفر وجد الموضع الذي كان مكتوبًا فيه روح الرب عليّ لأنه مَسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لو٤: ١٧–١٩). هذا ما قرأه يسوع كما ليقول لليهود ولنا أن النبوءة قد تحققت فيّ. أنا لست المَلِك الذي تريدونه. أنا المسيح الذي يجد فيه كلّ إنسان عونًا وملجأً. أنا سيّد في المحبة والخدمة والتواضع لأني جئت لأخدم لا لأُخدَم (متى ٢٠: ٢٨).

المؤمن هو الإنسان الذي يحمل المحبة بين أضلعه. المؤمن لا يكنّ بغضًا أو كراهية وحقدًا بل ينبض قلبه تسامحًا وغفرانًا. المؤمن بالمسيح هو أبدًا في متناول الآخرين بلطفه ومحبته، يحمل إلى الآخرين سر المحبة الذي يعيشه .

وتلميذ المسيح يعلن الحقيقة مهما كان ثمنها. لا يكذب، لا يساوم، لا يراوغ. ولكي يكون التلميذ كسيده عليه أن يعلن حقيقة أن العدل يأتي قبل السلام، والعدل يُبنى على الحق الذي متى حصل عليه كل إنسان يتساوى الناس ويحل السلام. من يتكلّم عن السلام يجب أن لا يكون ظالمًا لأن العدل يأتي أولاً. عليك أن تعامل البشر بالتساوي، أن تعطيهم حقوقهم ثم تطلب منهم أن يصمتوا

طريقَك قدَّامك* صوتُ صارخ في البريَّة أعِدُّوا طريقَ الربِّ واجعلوا سُبلَهُ قويمةً* كان يوحنَّا يعمّدُ في البريَّة ويكرزُ بمعموديةِ التوبةِ لغفرانِ الخطايا* وكان يخرجُ إليهِ جميعُ أهلِ بلدِ اليهوديةِ وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نهرِ الأردنِ معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يلبسُ وَبرَ الإبلِ وعلى حَقَوَيْهِ منطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جرادًا وعسلاً برّيًّا* وكان يكرزُ قائلاً إنَّهُ يأتي بعدي من هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحُلَّ سَيْرَ حِذائه* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعَمِّدُكم بالروحِ القدس.

تأمل

لنتأمل معًا كيف أن كُلاًّ من النبي إشعياء والسابق يوحنا المعمدان يوصلان لنا نفس الرسالة، رغم أنهما لا يستخدمان نفس التعبيرات، فالنبي يسبق فيُنبئنا أنه لا بدّ سيأتي المسيح، فيقول: «أعدّوا طريق الرب، اجعلوا سبيله مستقيمًا». أما السابق يوحنا المعمدان فعندما أتى، بدأ رسالته قائلاً: «اصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة»، وهذه الدعوة لها نفس المعنى تمامًا مثل: «أعدّوا طريق الرب». فكلُّ ما قيل بالنبي أو بالمعمدان يعني نفس الأمر.

إن السابق أتى لكي يُعدَّ الطريق لا أن يقدّم للناس

عطيّة المغفرة، بل بالحريّ ليُعدَّ نفوس أولئك الذين سينالون هبة الهبات.

ولكن القديس لوقا البشير يضيف شيئًا أكثر، فهو لم يكتفِ بأن يعطي بعض بل كل النبوة: «كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض؛ وتصير المعوجّات مستقيمة والشعاب طُرقًا سهلة؛ ويبصر كل بشر خلاص الله» (لو٣:و٦؛ إش٤٠: ٤ و٥).

ثم تأمل كيف أن النبي منذ أمدٍ طويل يسبق فينبئ بكل شيء: تجمُّع الناس معًا، تغيُّر الأمور إلى الأفضل، بساطة الأمور المستعلنة، والداعي لكل هذه المجريات؛ حتى وإن كان يتكلّم بالرموز. نعم لأنه كان ينبئ بأمور آتية. لأنه عندما كان يقول: «كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات سهلة»، كان يعني بذلك أن المتواضع سيُرفع، وأن المتكبّر سيُخفض، وأن خشونة الناموس ستَبدَّل بعذوبة الإنجيل، ليس بعدُ «عرَقٌ ووجعٌ»، بل نعمةٌ وغفرانٌ للخطيئة. هذا هو افتتاح طريق الخلاص الرحب. ثم إنه يبيّن الغاية من كل هذا قائلاً: «حتى يرى كل بشر خلاص الله»؛ ليس كما كان سابقًا، حيث كان اليهود والمتهوّدون وحدهم هم المختصون بالرؤية، بل «كلُّ بشر»، أي سائر الجنس البشري. وأما «الطرق الوعرة والمعوّجة» فهو يعني بها نوع الحياة ولا يغضبوا أو يثوروا. يجب أن تكون إنسانًا عادلاً كي لا ينفجر من هم أمامك.من طبيعة الإنسان أن يغضب، ومن حقه أن يغضب، لكن الرب يحذر من الخطأ في الغضب: إغضبوا ولا تخطئوا (مز٤: ٤). العدل ثم السلام لأن الإنسان الحاصل على حقه يجد نفسه مساويًا للآخر فيستكين ويرتاح ويصبح في سلام كليّ.

تلميذ المسيح يجابه الألم والمرض والموت وكل ما يؤذي جسديًا ونفسيًا بالصبر والفرح والاحتمال، لكي يعلم من لا يعرفون المسيح كيف يجابهون الألم والمرض والموت. المؤمن بالمسيح يعرف أن لا سلطان للموت عليه وقد غلب المسيح الموت بالموت. وهو مدعوٌّ أن يحمل للآخر حياة المسيح التي أصبحت حياته. المؤمن،في لقائه الآخر، يحمل إليه كل تعزية ورجاء وفرح. العظمة في المسيح أنك تصبح عند أقدام الآخرين، خادمًا لهم، محبًا. «من أراد أن يكون فيكم عظيمًا فليكن لكم خادمًا» (متى ٢٠: ٢٦).

تجسد المسيح ليعلّمنا الطاعة لله. في تمردنا على الله نبتعد عنه والبعد عنه موت. يسوع علّمنا الطاعة حتى الموت: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢: ٤٢).

قالت النبوءة عن المسيح إنه أتى ليبشر المظلومين والمتألمين والمحزونين والمأسورين وكل متألم وذي شدة. سؤالي في هذا اليوم المقدس: هل يحمل تلميذ المسيح آلام الناس؟ وهل تحمل الكنيسة آلام الناس وتعي أحمالهم وأوجاعهم؟ يجب أن نسعى إلى أن تكون الكنيسة حاملة أوجاع الناس وآلامهم. أن تكون قريبة منهم، مُدرَكَة منهم، مفهومة منهم. الكنيسة تتحرك بالروح القدس ورسالتها أن تنقذ الناس من كل سوء قد يمسهم. على الكنيسة أن لا تتخلّى عن صوتها النبوي. عليها أن لا تصمت أبدًا.

قال الرب «تعرفون الحق والحق يحرّركم» (يو٨: ٣٢). الكنيسة هي في طليعة من يحارب من أجل الحرية. الكنيسة هي معلّمة الأحرار، وهي وحدها تعرف معنى الحرية لأنها لا تطلب ما لنفسها.

هل أصلّي أنا المؤمن من أجل سلام العالم ومن أجل رجوع الخاطئ والفاسد والظالم إلى أحضان الرب؟ هل أحمل عن المظلوم ظلمه وعن الفقير فقره وعن المتألم ألمه؟

كثيرًا ما نسمع اليوم لماذا يتكلم رجال الدين في أمور يُعتَقَد أنه ليس من حقهم التكلّم فيها. أريد فقط أن أقول إن كل الأمور التي تؤدي إلى الخير،بدون استثناء، هي أولاً من حق رجال الدين وبعدئذ من حق الآخرين لأن رجال الدين، بطبيعة حياتهم، هم أقرب إلى النور من غيرهم. قد يكونون من أخطأ الناس وأفسدهم، وأنا أولهم، لكنني أعرف دون أي شك أنني في كل مرة أقف فيها أمام الرب يذكّرني ربي بالمحبة التي يجب أن أحملها دفاعًا عن كل متألم ومظلوم. رجل الدين هو المعلّم شاء المنزعجون والمعترضون أم أبوا. من حقهم أن يرفضوا. من حق أي إنسان أن لا يؤمن وأن يلحد، لكنني أقول لهم إن الله هو نور العالم، ومن يتكلم مع الله ينير العالم باستنارته من الله. لذلك أسأل الأحبة الذين ينظّرون في هذا الموضوع أن يكفّوا عنه لأن الكلام بهذا الحق لا يحتاج إلى شهادات من أحد. الدفاع عن الحق يحتاج إلى المحبة وإلى القلب الذي يحمل الآخرين في حناياه.

لنصمت إذًا ولنتأمل إن كان الله يسكن فينا أم لا.

دعائي في هذا اليوم المقدس أن يجد الله فيكم لا مذودًا بل قلبًا لحميًا حنونًا طيبًا ليستقر فيه ويرتاح. آمين».

مدخل إلى الرسالة الثانية إلى تيموثاوس

إنها الرسالة الثانية من مجموعة الرسائل التي تُسمى رعائية (١ تيم، ٢ تيم، تيطس). ورغم انها تأخذ طابع

التوصيات الشخصية، إلاّ ان هذه التوصيات قابلة للتعميم فتصبح إرشادات عامة لكل من هو في موقع المسؤولية في الكنيسة، على مثال التلميذ تيموثاوس، إرشادات تدلّه على كيفيّة التصرف مع من هم داخل الكنيسة ومن هم خارجها. ويظهر أن ما يعترض المسؤول أو الخادم في الكنيسة من مشاكل ومواجهات غالبًا ما تصدر عن الذين هم داخل الكنيسة الذين لا يقبلون التعليم الصحيح (٣:٤).

+ تعليم الرسالة:

– إنها رسالة تعزية وحض على الثبات في الإيمان، إذ يظهر ان تيموثاوس يعاني من ضغوطات وخاصة داخلية، لذلك يتوجّه إليه الرسول بولس بالتعزية معتبرًا آلام تيموثاوس مصدرًا للفرح: «ذاكرًا دموعَكَ لكي أمتلئَ فرَحًا» (٤:١)، ويحضه على الثبات في الإيمان الذي يسكن فيه (٥:١) وعلى أن يضرم موهبة الله التي فيه (٦:١) «لأنّ اللهَ لم يُعطِنا روحَ الفشَلِ بل روحَ القوَّةِ والمحبَّة والنصح» (٧:١).

– الله هو الذي يدعونا بالإنجيل «دعوة مقدسة» بغض النظر عن أعمالنا، وهو خلّصنا بظهور الرب يسوع «الذي أبطلَ الموتَ وأنارَ الحياة والخلودَ» (١٠:١)، وعلى هذا الأساس ينتظر المؤمن ملاقاة الرب يسوع في اليوم الأخير لأنه على يقين ان «كنا قد مُتنا معه فسنحيا أيضًا معه، إن كنّا نصيرُ فسنملِكُ أيضًا معه» (٢: ١١–١٢).

– الله يعطينا «روح القوَّةِ والمحبَّة والنصح» (٧:١) فنستطيع احتمال المشقات في المسيح يسوع لأجل الإنجيل (٨:١؛ ٣:٢، ٩). هذه المشقات تواجه الخادم في الكنيسة نتيجة عدم محبَّة الناس لله وعدم قبولهم كلمة الله والتعليم الصحيح، كونهم «محبِّين للمالِ مُتَعَظِّمينَ مُستكبرين مُجدِّفين غيرَ طائعينَ لوالِديهم... عديمي النزاهةِ شرسينَ غيرَ مُحبينَ للصلاح...» (٢:٣–٩)، لذلك عليه أن يُعرض عنهم (٥:٣) وأن يتجنب الأقوال الباطلة غير النافعة والدنسة (١٦:٢) والمباحثات السخيفة التي تولّد خصومات (٢٣:٢).

– على الخادم أن يعلِّم الناس التعليم الصحيح، عليه أن يكرز بكلمة الله «في وقتٍ مناسبٍ وغيرِ مناسبٍ» (٢:٤) وأن يواجه الذين يقاومون كلمة الله بالصبر والرفق، وعليه أن يؤدبهم بالوداعة «عسى أن يُعطيهم الله توبةً لمعرفةِ الحقِّ» (٢٥:٢)، متسلحًا بالبرّ والإيمان والمحبة والسلام (٢٢:٢).

– مثال الخادم في عمله هذا هو الرسول الذي يرسم الطريق، وعلى تيموثاوس أن يتبّع تعليم الرسول وسيرته وقصده وإيمانه وأناته ومحبَّته وصبره واضطهاداته وآلامه (١٠:٣–١١) عالمًا ان «جميع الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطهدون» (١٢:٣).

– لقد تسلَّم من الرسول التعليم الصحيح وعليه بدوره أن يحفظه بمثابة وديعة بمعونة الروح القدس الذي يسكن فينا (١٤:١) وأن يسلم هذه الوديعة بدوره إلى «أناس أمناءَ يكونونَ أكفاءَ أن يُعلِّموا آخرين أيضًا» (٢:٢). والله نفسه سيهب إكليل البرّ في اليوم الأخير للذين يجاهدون الجهاد الحسن والذين يحبون ظهوره أيضًا (٧:٤–٨).

محاضرة

تدعو رهبنة ورعية القديسة كاترينا – دير زهرة الاحسان – إلى مشاركتها صلاة الغروب عند الرابعة من مساء الأحد ٢٠٠٣/١/١٢ (الأحد بعد الظهور الإلهي) يليها حديث للارشمندريت المتوحد افرام كرياكوس حول موضوع الظهور الإلهي (الغطاس).

الفاسدة التي كانت: عشّارون «ظَلَمة»، زناة، لصوص،مشتغلون بالسحر: الذين كانوا قبلاً معوجّين في طرقهم؛ ومن ثمَّ دخلوا الطريق المستقيم، كما قال الرب نفسه: «الحق أقول لكم:إن العشّارين والزانيات سيسبقونكم إلى ملكوت السموات» (متى ٢١: ٣١) ذلك لأن هؤلاء كانوا قد آمنوا به. ويتكلم النبي عن نفس الشيء ولكن بتعبيرات أخرى: «الذئب والحمل يرعيان معًا» (إش ٦٥:٢٥). فكما تكلم قبل هذا عن الجبال والأودية معلنًا بذلك أن الطبائع المختلفة ستتآلف إلى واحد عن طريق معرفة الحكمة أي معرفة الخلاص، كذلك هنا بالمثل: فهو يعني بالطبائع المتباينة التي للحيوانات العُجم تباين طبائع الناس، وينبئ كيف أنها ستأتي معًا إلى حياة واحدة متآلفة مستقيمة. وهنا أيضًا، كما فعل سابقًا يُعطي العلّة لهذا قائلاً: «إن القائم ليحكم الأمم، إياه تترجى الشعوب»(إش١٠: ١٠؛ مت ١٢:٢١)، الذي يقصد به نفس المعنى عندما يقول: «وكلُّ بشر سيرى خلاص الله»؛ مبيناً بهذا أن قوة ومعرفة الإنجيل ينبغي أن ينادى بهما إلى أقاصي الأرض، وهذه ستؤول إلى تغيير جنس البشر من الطرق البهيمية وشراسة النفس إلى وداعة ولطف الخُلُق.

القديس يوحنا الذهبي الفم